

## التمثيل Representation

المبحث الثالث من القسم الاول في كتاب Cultural Geography  
علا سودرستروم

ترجمة بتصرف  
أ.د. مضر خليل عمر

الصورة التي تجعل الفلسفة التقليدية أسيرة هي صورة العقل كمرآة عظيمة ، تحتوي على تمثيلات مختلفة - بعضها دقيق والبعض الآخر ليس كذلك - وقابلة للدراسة بطرق نقية غير تجريبية . ريتشارد رورتي ، الفلسفة ومرآة تمثيل الطبيعة ، ولإعادة صياغة ملاحظة ريموند ويليامز الشهيرة حول "الثقافة" ، هي بالتأكيد إحدى أكثر الكلمات تعقيداً في العلوم الإنسانية . يتم استخدامها في كل مجال اجتماعي تقريباً : الفن والثقافة والسياسة والعلوم والقانون . يعود ثراءها الدلالي وتعقيدها إلى التلاحق في التاريخ لمعانيها في هذه العوالم المختلفة . بعبارة أخرى ، إنها "فكرة حدودية" ، وما تزال تكمن فيها اليوم ، كما سنرى ، إمكاناتها الابتكارية .

النتيجة الطبيعية لهذه الملاحظة التمهيدية هي أن أية مناقشة لمفهوم التمثيل لا بد أن تكون جزئية وغير كاملة . هذه المساهمة ليست استثناء من القاعدة . نبدأ ببعض الملاحظات حول مفهوم التمثيل في العلوم والفلسفة والعلوم الاجتماعية قبل النظر في النقاشات الأخيرة في الجغرافيا البشرية ، وأخيراً ، يحدد بعض التطورات المستقبلية المحتملة .

**التمثيل هو جوهر الممارسة العلمية** . بل إنه يُنظر إليه في كثير من الأحيان على أنه يلخص عملية إنتاج المعرفة بأكملها . كان نقد هذه المعادلة (العلم / المعرفة = التمثيل) قضية مركزية في الفلسفة الحديثة . تعد أعمال مارتن هايدجر وميشيل فوكو وريتشارد رورتي من بين أهم المعالم في هذا النقاش الفلسفي الذي عد الحقيقة على أنها دقة التمثيل ، فهي بالنسبة لهايدجر الخلل الأساسي في الفلسفة الغربية . لنضعها في كلمات بسيطة : مع مركزية التمثيل هذه ، يصبح العالم ، بالنسبة لهايدجر ، صورة متصورة والإنسان فرداً يسعى للسيطرة على العالم بأكمله وامتلاكه (Heidegger 1962، 100-69) . ونتيجة لذلك ، يتغير جوهر الإنسان (يصبح ذاتاً ومركزاً مرجعياً للعالم) ، ويُحفظ العالم في مأزق ، وينقلص العقل البشري إلى سبب أداتي . تعد نظرية المعرفة الديكارتية مركزية في هذه العملية - مع ديكارت ، كتب هايدجر ، "التفكير يعني التمثيل" - لكنه ، كما يجادل ، جذورها أعمق بكثير . يمكن العثور عليها في المقطع بين فلسفة بارمينيدس وأفلاطون في اليونان القديمة . بالنسبة لبارمينيدس ، الإنسان مأخوذ في تدفق العالم ، وهو في الأساس "سامع" العالم ، ولهذا السبب لا يمكن للعالم أن يكون صورة . بالنسبة لأفلاطون ، على العكس من ذلك ، يُنظر إلى العالم في المقام الأول ، ويوضع أمامنا ، وبالتالي يمكن أن يصبح موضوعاً للتمثيل .

مثل هايدجر ، يورخ فوكو أيضاً العلاقة بين التمثيل والمعرفة ، لكنه يستخدم أطراً زمنية أخرى . يمثل التمثيل بالنسبة له إحدى المراحل الرئيسية للإبستيم الغربي : العصر الكلاسيكي (1600-1800) (فوكو 1976) . التشابه - أي بصمات النظام الإلهي في العالم هناك - ونشاط التعرف على المقارنات أو التعاطف بينهما ، وفك رموز ومقارنة العلامات والآثار ، هو ما يميز أشكال المعرفة في الفترة السابقة : عصر النهضة . في العصر الكلاسيكي ، تكونت التمثيلات الدقيقة للعالم ، التي وضعها ديكارت في ذهن الموضوع ، هي السبيل للخروج من لعبة التشابه اللانهائية هذه . لكن بين 1775 و 1825 ، "اكتسبت الكلمات والطبقات والثروة نمطاً من الوجود لم يعد متوافقاً مع التمثيل" (Foucault 1976، 233) . مع الإشارة في التاريخ الطبيعي والاقتصاد والقواعد إلى الهياكل الأساسية غير المرئية ، فإن "وجود ما يتم تمثيله يقع خارج التمثيل" (252) . بعبارة أخرى ، بالنسبة لفوكو ، إذا ظل التمثيل نموذجاً معرفياً في العصر الحديث بعد عام 1800 ، فإن التمثيلات كمنتجات للمعرفة تلامس حدودها كأدوات معرفية عملية في بداية القرن التاسع عشر .

في عمله الأساسي حول النموذج التمثيلي في الفلسفة ، أوضح ريتشارد رورتي هذين الاستخدامين المقبولين للمصطلح (**كأداة ونموذج**) تم تمييزهما من قبل فوكو من خلال تحديد أنماط المعرفة الجديدة التي فتحها نقد ذلك النموذج (Rorty 1979) . وفقاً لرورتي ، أطلق ثلاثة مؤلفين - هايدجر ولودفيج فيتجنشتاين وجون ديوي - في بداية القرن العشرين أكثر الهجمات فاعلية على الفلسفة التي تعد "نظرية عامة للتمثيل". **نظرية تقسم الثقافة إلى مناطق تمثل الواقع بشكل جيد** ، وتلك التي تمثلها بشكل أقل جودة ، وتلك التي لا تمثلها على الإطلاق (على الرغم من ادعاءها بذلك) " على الرغم من اختلافاتهم ، ينفق هؤلاء المؤلفون الثلاثة ، وفقاً لرورتي ، على حقيقة أن " فكرة المعرفة كونها إعادة استياء دقيقة أصبحت ممكنة من خلال عمليات عقلية خاصة ومفهومة من خلال نظرية عامة للتمثيل ، يجب التخلي عنها " . استنتاج رورتي هو أنه بعد اتهامات أبطاله الثلاثة ضد التمثيلية ، يجب أن نستخلص استنتاجاً مفاده أن " **فكرة المعرفة كتجميع للتمثيل الدقيق هي فكرة اختيارية** - يمكن استبدالها بمفهوم براغماتي للمعرفة الذي يقضي على اليونانية . **التناقض بين التأمل والعمل ، بين تمثيل العالم والتعامل معه** " . وهكذا مهدت فلسفة القرن العشرين الطريق لنقد التمثيل في مختلف التخصصات وللتطور اللاحق للممارسة العلمية غير التمثيلية .

لتجنب إنتاج الكثير من النقاش المتمحور حول الفلسفة ، من الجدير بالذكر هنا أن هذا النقد للتمثيل متوقع (أو "موازٍ" : هذا لا يهم حقاً) في الفنون . يعد بول سيزان كلاسيكياً أول من قام بتفكيك الأشكال التقليدية للتمثيل في الرسم . يتلاشى العصر الطبيعي الطويل - بدءاً من نظرية ليون باتيستا ألبيرتي للمنظور الخطي - مع رؤى سيزان المجزأة لجبل سانت فيكتور وينفجر بشكل كبير مع التكميلية والتجريدية في العقود الأولى من القرن العشرين .

هذا النقد الواسع للتمثيل في الفلسفة والفنون هو موضوع في العلوم الإنسانية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي على أنه "**أزمة التمثيل**" . إن نجاح السيميائية على وجه الخصوص يعزز موقف فرديناند دي سوسور بشأن العلاقة التعسفية بين الدال والمدلول . مع السيميائية الحديثة يتم فتح فجوة بين الكلمات والأشياء ، والتي لن يتم إغلاقها مرة أخرى . في هذه العملية ، يصبح التمثيل في العلوم الإنسانية افتراءً مشكوكاً فيه وفعالاً بدلاً من أن يكون مصدرًا لليقين . **ومن المثير للاهتمام أن أزمة التمثيل العلمي هذه توازيها أزمة تمثيل سياسي** . تشكك الحركات المدنية في جميع أنحاء العالم ، ومايو 1968 في فرنسا على وجه الخصوص ، في شرعية الديمقراطية التمثيلية إما لصالح الثورة أو ، في نسختها الأكثر اعتدالاً ، الديمقراطية التشاركية . **القاسم المشترك بين هذه الأزمات - في العلوم والفنون والسياسة - هو الهجوم على السلطة والأشكال الراسخة للقوة الخطابية** .

بدأت موجة الصدمة لهذه الظاهرة العامة في الظهور في الجغرافيا في أوائل السبعينيات . ومنذ ذلك الحين ، من الناحية التخطيطية ، كانت هناك لحظتان متميزتان : **الأولى** تتميز بنقد التمثيل ، والثانية بتطور المناطق الجغرافية غير التمثيلية . خلال السبعينيات من القرن الماضي ، اقترح ما يسمى بـ "الجغرافيا المتطرفة" بدائل استياء من المدينة . ويليام بونج ، على سبيل المثال ، يكشف ويضع خرائط للحقائق الحضرية غير الممثلة في الجغرافيا البشرية السائدة : **فضاءات الموت أو المساحات التي تهيمن عليها الآلات** (Bunge 1971) . يشير ديفيد هارفي بشكل مذهل إلى وجود نظريات وتمثيلات بديلة للعدالة الاجتماعية في المدينة (Harvey 1973) . كلاهما يصر على **الطابع الأيديولوجي للتمثيلات الجغرافية** . تم تضخيم الحركة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي مع تطور دراسات النسوية والجنس والكوير في الجغرافيا البشرية . تُؤمن مجالات الاستفسار هذه المفاهيم والممارسات التي كانت تُقل من قيمتها سابقاً . تتساءل النسوية عن التمثيل في جذورها كموقف معرفي جنساني (Rose 1993) وتنتقد ، بشكل أكثر تحديداً ، ادعاءات بعض الجغرافيين لتحديد التمثيل المتميز للواقع المكاني (Deutsche 1991) .

إن الجغرافيين من مجتمعات الأبحاث غير الناطقة بالإنجليزية ، وخاصة من " الجنوب " ، يجعلون أصواتهم مسموعة ، على سبيل المثال خلال المؤتمر الدولي الافتتاحي للجغرافيين الناقدون في فانكوفر في عام 1997 ، معربين عن عدم ارتياحهم بشأن تمثيلهم (الناقص) في المراحل الرئيسية للجغرافيا البشرية

المعاصرة . السؤال الأساسي هنا ، والذي يعد أيضًا مركزيًا على نطاق أوسع في مجال الدراسات الثقافية ، هو **سياسة التمثيل** ، أي من لديه القدرة على إنتاج تمثيلات مصرح بها للعالم وماذا / من هي الأشياء المشروعة / الموضوعات العلمية التمثيل؟

خلال الفترة نفسها ، قام بريان هارلي بتفكيك أداة التمثيل الجغرافي بصبر "بامتياز" : رسم الخرائط (Harley 2001) يجادل **بأن الخرائط هي مواقع قوة المعرفة** . في أعقاب أعمال هارلي وأيضًا عمل كريستيان جاكوب في فرنسا (جاكوب 1992) وفرانكو فارينيلي (فارينيلي 1992 ، 2003) في إيطاليا ودينيس كوسجروف في بريطانيا العظمى (كوسجروف 1999) ، يبدو أن رسم الخرائط مشبعًا بالقوة ، منتجًا ومصدرًا لسبب اختزالي ، مضمّن في العمل بدلًا من كونه ناقل سلبي وشفاف للمعرفة الجغرافية . في الوقت نفسه ، ينشر المؤلفون الناشطون في مجال الدراسات العلمية أعمالهم حول **التمثيل في العلوم الطبيعية ، واصفين إياها بأنها عملية عملية واجتماعية ، مركزية لإنتاج الحقائق العلمية** (Lynch and Woolgar 1990) . تتشارك مجموعة العمل هذه في "منعطف بصري" مذهل إلى حد ما في العلوم الإنسانية والاجتماعية والتي من خلالها تُعطى الرؤية والتصورات والمنهجيات المرئية (Rose 2001) مكانة بارزة جديدة .

شهد النصف الثاني من التسعينيات والسنوات الأولى من هذا القرن استمرار هذا النقد للتمثيل والعمل على سياسات التمثيل ، ولكن أيضًا ظهور استراتيجيات البحث غير التمثيلية التي تصبح فيها الممارسة والعروض التقديمية والعمليات أكثر مركزية من إعادة التمثيل - العروض . تم تقديم تعبير "غير تمثيلي" ، كمصطلح تغطية لتلخيص هذه الخطوط الفكرية الجديدة في الجغرافيا ، في النظام من قبل الجغرافي البريطاني نايجل ثريفت . مصادر هذه المناطق الجغرافية الجديدة ، وفقًا لـ Thrift ، يمكن العثور عليها في نظريات مختلفة من الممارسة تتكرر فعالية النماذج التمثيلية للعالم ، التي ينصب تركيزها الرئيسي على "الداخلية" ، والتي تمثل مصطلحاتها أو أشياءها تمثيلات رمزية وبدلاً من ذلك يلتزمون بنماذج غير تمثيلية للعالم ، يكون التركيز فيها "خارجيًا" ، وفيها يتم تشكيل المصطلحات والأشياء الأساسية في مجموعة الإجراءات والتفاعلات ("Thrift 1996، 6) . لا تتكرر هذه المناطق الجغرافية أهمية التمثيلات - حيث لا ينكر رورتي دورها في عملية اكتساب المعرفة - ولكنها تحاول وضعها في تدفق عملية أوسع للمعرفة بما في ذلك الأبعاد البراغمتية الحاسمة . قاد التفكير غير التمثيلي الجغرافيين إلى التقليل من أهمية الدور (المهيمن سابقًا) للعمليات الذهنية واللغة والرؤية وتقديم شخصيات جديدة مثل : **الجسد ، والعواطف ، والمكانية** ، بدلاً من ذلك ، في مرحلة أبحاثهم ومنتشوراتهم ، **الممارسة ، التفاعل ، الأداء ، "الأشياء" ، التكنولوجيا** .

هل هذا يعني أن عصر التمثيل في الجغرافيا قد انتهى؟ بالتأكيد لا . بمجرد تحطيم تصور المرأة الديكارتية للمعرفة ، تترك طريقتهان مفتوحتان . **الأول هو موقف "العمل كالمعتاد"** ، مما يقود الجغرافيين إلى الاستمرار بالوسائل المعاصرة (نظم المعلومات الجغرافية ، على سبيل المثال) مهمة إنتاج صور "صادقة" وموحدة للعالم (الجغرافي) . والثاني هو تتبع الروابط بين الأجزاء المتفرقة من المرأة . لا يتم رفض التمثيلات هنا تمامًا ولكن يتم إعادة النظر فيها بعمق من خلال وجهات نظر عملية المنحى . لم تعد الصور الذهنية الصحيحة إلى حد ما أو أقل ، يُنظر إليها على أنها أحد العناصر في شبكة الذكاء الموزع البشري وغير البشري ، والتي تحول العالم الذي نعيش فيه باستمرار . هذا يعني أن الجغرافيين (وربما على نحو متزايد) **يحللون التفاعل بين الأشكال المختلفة لتمثيلات الفضاء - في الخرائط والصور والسينما وما إلى ذلك - ومجالات الممارسة ، مثل أنماط السلوك في البيئة الحضرية أو التخطيط العمراني** . إنهم يدرسون ، بعبارة أخرى ، "التمثيلات في البرية" (أي الهروب من سجن الكوجيتو) . في هذا المنظور الثاني ، تكمن إمكانية الاستجابة لقيود التمثيل الكلاسيكي ولكن أيضًا لإنقاذ الفكرة المهمة التي مفادها **أن الجغرافيين هم (ويجب أن يظلوا) ممثلين لبعض الظواهر (المكانية بشكل عام)** . على هذا النحو ، فإنهم دائمًا ما يعطون صوتًا أو يكتمون أشياء وأفعال معينة ، ويعطون أهمية ووضوحًا لعمليات معينة وليس للآخرين ، وبالتالي يساهمون في تحول العالم (الذي اعتقدوا لفترة طويلة أنهم كانوا "يمثلون" فقط) .

## KEY REFERENCES

- Foucault, M. 1976. *Les mots et les choses*. Paris, Gallimard.
- Heidegger, M. 1962. *Les temps des conceptions du monde*, in *Les Chemins qui ne mènent nulle part*. Paris, Gallimard, 69-100 (French translation of *Die Zeit des Weltbilds*, conference given in Freiburg, 1938).
- Rorty, R. 1979. *Philosophy and the Mirror of Nature*. Princeton, Princeton University Press.
- Thrift, N. 1996. *Spatial Formations*. London, Sage.

## OTHER REFERENCES

- Bunge, W. 1971. *Fitzgerald: Geography of a Revolution*. London, Schenkman.
- Callon, M. 1995. *Representing Nature, Representing Culture*, conference for the inauguration of the Centre for Social Theory and Technology, University of Keele, 24 March.
- Cosgrove, D. ed. 1999. *Mappings*. London, Reaktion.
- Deutsche, R. 1991. *Boys' town, Society and Space*, 9: 5–30.
- Farinelli, F. 1992. *I segni del mondo: Immagine cartografica e discorso geografico in età moderna*. Scandicci, Nuova Italia.
- Farinelli, F. 2003. *Geografia. Un'Introduzione ai modelli del mondo*. Torino, Einaudi.
- Harley, J.B. 2001. *The New Nature of Maps: Essays in the History of Cartography*. Baltimore, Johns Hopkins University Press.
- Harvey, D. 1973. *Social Justice and the City*. London, Arnold.
- Jacob, C. 1992. *L'empire des cartes*. Paris, Albin Michel.
- Lynch, M. and Woolgar, S. eds. 1990. *Representation in Scientific Practice*. Cambridge, MA, MIT Press.
- Rose, G. 1993. *Feminism and Geography: the Limits of Geographical Knowledge*. Cambridge, Polity.
- Rose, G. 2001. *Visual Methodologies*, London, Sage.